الأبعاد التّداولية للإشاريات في رواية "العشق المقدنس" لعز الدين جلاوجي

The Pragmatic Dimensions of deixis in the Novel of “Al-Ishq Al-Muqadnis” by Ezzeddine Jelawji

***بوقفطان مصطفى**

مخبر الدراسات الثقافية والتعليمية والتعلمية في الجزائر/الجزائر

المركز الجامعي مرسلي عبد الله، يبازة، (الجزائر)، boukoftane.mustapha@cu-tipaza.dz

د. بوخالفة ابراهيم

المركز الجامعي مرسلي عبد الله، تيبازة، (الجزائر)، boukhalfaali@gmail.com brahim

تاريخ الاستلام: 2021/07/05 تاريخ القبول: 2021/09/24 تاريخ النشر: 2021/12/25

ملخص:

تُعنى الدّراسات التّداولية بأكثر من جانب من جوانب الخطاب الروائي، ويمكن إرجاع هذه الجوانب إلى عددٍ من المسارات؛ يتضمّن كلٌّ منها عددًا من الدّراسات، وتعدّ الإشاريّات من بين أهم هذه المسارات، حيث غدت معيارا أساسيّا في التّحليل التّداولي للخطاب الرّوائي.

تستهدف هذه الدراسة استثمار الآليات الإشارية في مقاربة رواية "العشق المقدنس" لعز الدين جلاوجي وبيان أهميتها في تكوين بنية الخطاب الروائي، كما تتقصى الأبعاد التداولية التي جسدتها في هذا الخطاب الروائي.

كلمات مفتاحية: التداولية؛ الإشاريّات؛ الخطاب الروائي؛ الضمائر؛ السياق.

Abstract:

Pragmatic studies are concerned with more than one aspect of narrative discourse, and these aspects can be traced back to a number of tracks. Each of them includes a number of studies, and signals are among the most important of these paths as they have become a basic standard in the pragmatic analysis of the narrative discourse.

This study aims to invest the indicative mechanisms in the approach of the novel of “Al-Ishq Al-Muqadnis” by Ezzedine Jalawji and to show its importance in the formation of the structure of the narrative discourse. It also investigates the pragmatic dimensions embodied in this narrative discourse.

Keywords: Pragmatics; deixis; the novelistic discourse; Pronouns; context.

***المؤلف المرسل**: بوقفطان مصطفى، **الإيميل**: boukoftane.mustapha@cu-tipaza.dz

1.مقدمة:

بات لا يكفي في تحليل العمل الإبداعي الكشفُ عن العلاقات الداخلية التي تمتدُّ داخل النّص وتظهرُ في معاني أبنيته فحسب؛ بل اتّسع ليضمَّ تلك المعاني التي يحيلُ إليها النص، الأمر الذي جعل التّحليل يرتبط ارتباطا وثيقًا بالسياقات المختلفة، ولذلك فقد انصبَّ اهتمام الدّارسين بما ينتجُ عن تفاعل اللّغة وهذه السياقات ضمن تيّار من الدّراسات والنّظريّات يسمى عند أهل الاختصاص بالتّداوليّة، فمحلل الخطاب الأدبي في حاجة للتّصورات التي تطرحها التداولية كدور الروابط في تفسير الخطاب، والاستعمال، والإحالات، والضمائر، أي ما يطلق عليه "الإشاريّات"**(Deixis)** في الدرس التداولي، ذلك لأنه لا يمكن أن تتمّ عمليّة التلفّظ بالخطاب دون حضور الأدوات الإشاريّة.

تجتهد هذه الدراسة في استثمار ما تقدمه الآليات الإشارية في مقاربة رواية "العشق المقدنس" **لعز الدين جلاوجي**، والتي نفترض غناها بمختلف أنواع الإشاريّات، ذلك لأنها تستوفي جملة مواصفات الخطاب الرّوائي من شخصيّات رئيسيّة وثانوية، وكذا

أزمنة متنوّعة، وأماكن كثيرة تدور فيها أحداث الرّواية، بالإضافة إلى مقاطع حواريّة يتنوّع فيها الباثّ والمتلقّي، وتتعدّد استراتيجيّات الخطاب بين شخصيّات الرّواية، كما نحاول أيضا تَقَصِّي الأبعاد التداولية التي جسدتها في هذا الخطاب الروائي، وفي أفق بيان ذلك نتساءل:

- إلى أي مدى أسهمت الإشاريّات كإجراء تداولي في تحقيق الترابط التخاطبي في رواية "العشق المقدنس"؟
- كيف يمكننا استثمار هذه الإشاريّات في فهم الرموز اللغوية للخطاب الروائي لعز الدين جلاوجي من خلال رواية "العشق المقدنس"؛ وتأويلها تأويلا مناسبا؟

2.الإشاريّات إجراء تداولي:

تعتبر التّداوليّة مجموعة من النّظريّات نشأت متفاوتة من حيث المنطلقات متّفقة على أن اللّغة هي نشاط يمارس ضمن سياق متعدّد الأبعاد، وقد أصبح مسارها محورا هامًّا في الدرس النقدي واللساني المعاصر، لما يقدمه من نظريات واصفة للخطاب، الأمر الذي جعل منه غنيا بالآليات العملية التطبيقية في إجراء تحليل وفحص للخطاب اللغوي عموما والأدبي على وجه الخصوص.

اهتمت التّداوليّة بذلك الخيط العلائقي الذي يجمع بنية الخطاب بعناصر الموقف التواصلي الذي يطلق عليه سياق النّص، وهو ما يؤكد عليه دومينيك مانغونو **(Dominique Maingueneaum)** الذي يرى أنّ "المكوّن التّداولي يعالج وصف الملفوظات في سياقاتها"[1]؛ إذ أنّ من خلال السّياق يمكن استخراج مقاصد المرسل وكذا متضمّنات القول، وتوافقه في هذا فرانسوا أرمينيكو **(francoise armingaud)** التي تعتبر أنّ "التّداوليّة علم الاستعمال اللّساني ضمن السّياق، وبتوسّع أكثر هي استعمال العلامات ضمن السّياق"[2]، ومن هنا فإن آلياتها تتعدى حدود البنية اللغويّة لتبحث في الأقوال والعلاقة بين المتخاطبين في سياق محدد، فتدرس التّلميح والتّصريح وكذلك الحجاج محاولة إعطاء تفسيرات دقيقة حول كيفيّات إنتاج القول وتفسير مقاصده وغاياته كما تدرس مختلف العناصر الذّاتيّة في الخطاب كالضّمائر والمبهمات الزّمانيّة والمكانيّة؛ وهي ما يطلق عليها "الإشاريّات"(Deixis) في الدرس التداولي.

تُصنّف الإشاريّات ضمن تداولية الدرجة الأولى، وهي من العلامات اللّغوية التي لا يتحدّد مرجعها إلا في سياق الخطاب، لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، إنها "مزيج من أدوات الربط كضمائر الغائب وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة؛ فهي تُسهمُ في الربط بين مفاصل النص، إذ عدت من البدائل المهمة في إيجاد الكفاءة النّصّية"[3]، وقد أشار جورج يول (George Yule) إلى الإشاريّات على أنها "أولى الصِّيغ التي ينطق بها الأطفال الصغار، وتستعمل للإشارة إلى الأشخاص من خلال التأشير الشخصي **(Person Diexis)** (أنا، أنت)، أو إلى المكان من خلال التأشير المكاني**(Spatial diexis)** (هنا ،هناك)، أو إلى الزمان من خلال التأشير الزماني **(Temporal Diexis)** (الآن، آنذاك)، وتعتمد جميع هذه التعابير في تفسيرها على متكلم ومستمع يتشاركان في السياق ذاته"[4]، فالعلامة لا تتحدد إلا في سياقها الخطابي.

تتعلق الإشاريّات إذن بقضية الدلالة والإحالة المرجعية على مقامات التواصل والسياق بحيث لا يمكن عزل هذه الإشاريّات عنه بتفسيرها أو إنتاجها، إذ يعتمد تفسيرها وبيان مدلولاتها على السياق الذي قيلت فيه، فالخطاب "القابل للفهم والتأويل، هو الخطاب القابل لأن يوضع في سياقه بالمعنى المحدد سالفا، إذ كثيرا ما يكون المتلقي أمام خطاب بسيط للغاية (من حيث لغته)، ولكنه يتضمن قرائن (ضمائرا أو ظرفا) تجعله غامضا غير مفهوم بدون الإحاطة بسياقه، ومن ثم فإن للسياق دورا فعالا في

تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالأساس، وما كان يمكن أن يكون له معنى لولا الإلمام بسياقه"[5]، لأنه الإطار العام الذي يسهم في إنجاح عمليّة الإفهام والفهم بين طرفي الخطاب.

إنّ معنى العديد من الجمل لا يتضح إلا بمعرفة ما تشير إليه مجموعة من العناصر الموجودة فيها، فإذا أنت قرأت جملة مقتطعة من سياقها مثل: (سوف يقومون بهذا العمل غدا، لأنهم ليسوا هنا) وجدتها شديدة الغموض؛ لأنها تحتوي على عدد كبير من العناصر الإشاريّة التي يعتمد تفسيرها اعتمادا تامّا على السّياق الذي قيلت فيه، وهذه العناصر هي: واو الجماعة، ضمير جمع الغائبين هم، اسم الإشارة هذا، ظرفا الزمان غدا والآن، ظرف المكان هنا[6]، ولا يتأتى معرفة ما تشير إليه هذه العناصر إلا بالاعتماد على السّياق لأنها تحيل إلى معان خارجة عن بنية الخطاب. وعليه فالإشاريّات مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة إلى المقام؛ من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان، ولها دور مهم في الإحالة إلى المعلومات، ويرى أغلب الباحثين أنها خمسة أنواع: الإشاريّات الشّخصية؛ الزّمانية؛ المكانيّة؛ الاجتماعيّة؛ الخطابيّة. وانطلاقا من هذه الأنواع الخمس سنحاول إلقاء الضوء على دور الإشاريّات وأبعادها في إنتاج الخطاب وتشكله في رواية "العشق المقدنس" للأديب الجزائري عز الدين جلاوجي.

3.الإشاريّات الشّخصية:

لعلّ من أوضح العناصر الإشاريّة الدالّة على شخص(**Person**) هي ضمائر المتكلم (**أنا، نحن**)، وضمائر المخاطب مفردا أو مثنى أو جمعا سواء كان مذكرا أو مؤنثا، ذلك لأن " تحقيق الفاعلية في اللغة واستعمالها يعني الحديث عن الضمائر التي تلعب دور تحويل اللغة إلى ممارسة ونشاط فردي من خلال الاستعمال، حيث إن المتكلم يملك اللغة ويتحكم فيها .... ولا يتحدث إلا لشخص ينصبه أمامه"[7]، بالإضافة إلى ضمير الغائب "إذا كان حرّا أي لا يعرف مرجعه من السّياق اللغوي فإذا عرف مرجعه خرج من الإشاريّات"[8]، هذه الضّمائر عناصر إشاريّة ذلك لأن مرجعها يعتمد اعتمادا تاما على السّياق الذي تستخدم فيه.

عند تحليل طرائق استعمال الإشاريّات الشخصية في رواية "العشق المقدنس" نجد أن عز الدين جلاوجي قد وظف مجموعة لابأس بها من الضّمائر، سنركز في هذا الجانب من الدراسة على ما تكرَّر منها كثيرا، فمن بين أهم الإشاريّات الدالّة على شخص في هذه الرواية نجد ضمير المتكلّم المتّصل، بنوعيه (**التّاء**) للمفرد المتكلم و(**النّون**) لجمعه، مثل: "و**أدركت** أخيرا **أننا نجونا** من شر مستطير، و**أننا صرنا** إلى مأمن، و**أسررت** إلى حبيبتي هبة"[9]، فالملاحظ في هذا الملفوظ السّردي ومثله في الرّواية كلها غلبة ضميري المتكلم على المقاطع الوصفية والسّردية فيها، ذلك لأن الراوي هو المتكلّم وهذا ما يفسر استعمال ضمير المتكلم المفرد في: (**أدركت، أسررت**)، فالرّاوي في هذه الرواية عارف وعالم بكل شيء وهو الذي يوجّه ويحرّك السَّرد وينقل للقارئ ما يشاء، كما هو ملاحظ أيضا ضمير المتكلم للجمع في (**أننا، نجونا، صرنا**) وهذا الضّمير يعود على "**العاشق**" وحبيبته "**هبة**"، كما في مثل الملفوظ السّردي الآتي: "بعد يومين **قررنا** أن نخرج إلى المدينة، **نشطنا** نتنكر في الجلبابين، كل شيء كان أسود حتى الجوربين والقفازين، و**درجنا** نغادر البيت، **ولجنا** الشوارع المكتظة حركة وضجيجا، **كنا** نحس بعيون الشرطة تبحث **عنا** في كل مكان وكانت أحاديث الناس تتناقل **قصتنا** بغرابة...."[10]، فضمير الجمع المتكلم في هذا الملفوظ السردي (**قررنا، نشطنا، درجنا، ولجنا، كنا، عنا، قصتنا**) يرجع إلى العاشق وحبيبته هبة، وهذا كما في أغلب أحداث الرّواية، إذ غالبا

ما كان يرجع ضمير المتكلم إلى الشّخصيتين الرّئيسيتين في الرواية وهما العاشقان، رجل تركه الرّوائي بدون اسم تاركا للقارئ حرّية التّأويل، ونحن نطلق عليه صفة "**العاشق**"، والشّخصية الثّانية هي حبيبة العاشق وقد أطلق عليها الروائي اسم "**هبة**".

إن البعد التّداولي في كثرة استعمال ضمير المتكلم الجمع (**النون**) يتمثل في أنّ البطلين لم يفترقا طيلة أحداث هذه الرواية إلا نادرا، وإن حدث يكون لمدة زمنيّة قصيرة، وهذا لأنّهما بطلا الرّواية، وتربطهما علاقة حب مقدّسة، يحاولان معا جاهدين أن يجدا لهما أرضيّة خصبة ليعرش عليها هذا الحب ويعيش، كما استعمل ضمير المتكلم في العديد من المرّات للدلالة على العاشقين ومن يكون بصحبتهما من شخصيّات ثانوية، هذه الشخصيات سواء كانت مساعدة أو شخصيات رمزيّة مثل ما جاء في الملفوظ السردي الآتي: "**احتضننا** الشّارع الكبير من جديد، و**رحنا** نخوض فيه منحدرين، و**معنا** خلق كاد المكان يغص بهم، في نهاية الشارع انفتحت **أمامنا** ساحة كبيرة جدا"[11]، فضمير المتكلم في: (**احتضننا، رحنا، معنا، أمامنا،**) لا يرجع على العاشقين فقط، إنما عليهما وعلى مرافقهما الذي أطلق عليه الروائي اسم **الدليل** وهو من الشّخصيات الثانوية التي ساهمت في مساعدة البطلين، حيث كان دليلهما في مدينة تيهرت.

بالإضافة إلى استعمال ضمائر المتكلم المتصلة للمفرد والجمع كعناصر إشاريّة دالّة على شخص، نجد في الرواية عناصر إشاريّة شخصية أخرى كالضمائر المتصلة للمخاطب وكذا للغائب كما جاء في الملفوظ السردي الآتي:"**أهنئكم** على **نجاحكم** من الفئة الباغية التي **اختطفتكم**، و**أطمئنكم** إلى أن حكم الله سيمضي **فيهم** بالعدل ..... **قاطعه** أبو سلمان التيهرتي قائلا:

– الأندلس بلد الخيرات، ولا نحتاج إلا أن نعمق علاقة التجارة **بيننا** و**بينهم** ....

– **صدقت** أبا سلمان، يا كبير التجار "[12]، فهناك جملة من العناصر الإشاريّة الدّالة على شخص في هذا الملفوظ السّردي وهي متنوّعة، كضمير الجمع المخاطب أنتم في: (**أهنئكم، نجاحكم، اختطفتكم، أطمئنكم**)، بالإضافة إلى الضّمائر المتصلة للجمع الغائب (**هم**) في: (**فيهم، بينهم**)، وكل هذه الضمائر المتصلة بدورها تحيل إلى شخصيّات الرواية؛ سواء كانت شخصيات رئيسية أو ثانويّة أو حتى شخصيّات رمزيّة، فتاء المخاطب مثلا في (**صدقت**) تحيل إلى شخصيّة هامّة في الرواية وهي شخصيّة **أبي سلمان التيهرتي**، وهو أيضا من الشخصيات الثانوية اللتي كان لها دور في تسيير أحداث الرواية.

بالإضافة إلى الضّمائر المتّصلة فقد وردت في الرواية مختلف الضّمائر المنفصلة: متكلما، ومخاطبا، وغائبا، للمفرد وللمثنى وللجمع، وهي تدل على الذوات الفاعلة والمحرِّكة لأهم وقائع الرواية، ويجب العودة إلى السياق الذي استخدمت فيه لمعرفة مرجعها، لأن السّياق وحده هو الذي يحدِّد إحالتها.

تجدر الإشارة أن عز الدين جلاوجي حريص على تفادي أي لبس في استخدام الضّمائر، والذي قد يحدث إذا تعدّد مرجعها أو تبادل كل من المتكلم والمخاطب أدوار الكلام، فأصبح المتكلم مخاطبا والمخاطب متكلما، أو نقل متكلم كلاما أخر، أو تتعدد مراجع الكلام، فالسّياق في رواية العشق المقدنس لا يسمح بنشوء لبس ما.

4. الإشاريّات الزّمانيّة والمكانيّة:

الإشاريّات الزمانيّة هي كلمات تدل على زمان يحدّده السّياق بالقياس إلى زمان التلفّظ، فإذا لم يعرف زمان التكلّم أو مركز الإشارة الزّمانيّة التبس الأمر على السّامع أو القارئ[13]، وتتجلّى في الألفاظ الدّالة على الزّمان (**لحظة – الآن – بعد – ساعة** ....)، إذ تعتبر لحظة التلفظ مرجعا يجب على المرسل إليه أن يدرك لحظة التلفظ، فيتّخذها مرجعا يحيل إليه، ومثّل لذلك الباحث عبد الهادي بن ظافر الشّهري بقوله: "سأعود بعد ساعة"[14]، فلكي يبني المرسل إليه توقّعه لابد من معرفة لحظة التلفّظ

بالخطاب، ويتضح هذا جليّا في خطابات الإعلانات الإشهاريّة، فإذا وجدنا إعلاناً: ستبدأ التّخفيضات الأسبوع القادم، فإنّنا إذا لم نعلم زمن الخطاب(الإعلان) فإنّنا لا نعرف هل التّخفيضات ستبدأ، أم مضى الأسبوع وبدأت التّخفيضات، كما إنّنا لا نستطيع تحديده على وجه الدّقة إذا لم نعلم وقت الإعلان تماماً.

الإشاريّات المكانيّة هي كلمات الإشارة نحو: **هذا وذاك** للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانيّة، وكذلك: **هنا وهناك** من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم وسائر ظروف المكان مثل: **فوق، وتحت، إمام، وخلف**..... وهذه العناصر الإشاريّة إلى الأماكن تعتمد في استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلّم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السّامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قرباً أو بعداً أو وجهة، ولا نستطيع تفسير هذه الألفاظ الإشاريّة إلا إذا وقفنا "على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السّياق المادي المباشر الذي قيلت فيه"[15]، ذلك لأنها "تختص بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي، وتقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام، انطلاقا من الحقيقة القائلة إن هناك طريقتان رئيستان للإشارة إلى الأشياء هما: إما بالتسمية أو الوصف من جهة أولى، وإما بتحديد أماكنها من جهة أخرى"[16]، فلو قال شخص: "أحب أن أعمل هنا، فهل هو يعني: في هذا المكتب، أو في هذه المؤسّسة، أوفي هذا المبنى، أو في هذه القرية، أو في هذا المبنى، أو في هذا الجزء من المدينة...؟ فكلمة هنا تعبير إشاري، وإن كان يشير إلى شيء قريب من المتكلم إلا إنه قد يكون بعيداً عن المخاطب، فلا يمكن تفسيره إلا بمعرفة المكان الذي يقصد المتكلّم الإشارة إليه"[17]، وتتعقّد المسألة أكثر إذا كان المخاطب لا يرى المتكلم.

بعد تتبع الإشاريّات الزمانيّة والمكانيّة في رواية "العشق المقدنس" يتضح جليّا أن الروائي عز الدين جلاوجي يتلاعب بالزّمان والمكان ويتخطّى حدودهما، من خلال ممارسته للعبة سردية عند السّفر برفقة العاشقين، مما يجعل المتلقي يعيش مع العاشقين كل فصول المغامرة دون أن يشعر، ومن أشكال الإشاريّات المكانية والزمانيّة أن يشير الروائي إلى مكان وزمان صريحين معلومين، ويجب على المتلقّي أن يكون عارفا لهما ولكل ما يمكن أن يتّصل بهما كي لا يخفق في تلقّي الخطاب ومن شواهده في الرواية: "**هذه** عاصمتنا العملاقة **تيهرت**"[18]، "امتلأت **تيهرت** لغطا وهرجا لم تعرفه من قبل، وراح المئات ينسلون من كل **أحيائها** يتجمعون في **الساحة العامة**"[19].

تعتبر **تيهرت** واحدة من الدّويلات التي تعاقبت على حكم الجزائر، فهي عاصمة الدّولة الرستمية ما بين 776م – 909م، وهي أحد أهم الأمكنة التي جرت فيها أحداث الرواية، وقد جاء في وصفها: "هي بلخ المغرب، قد أحدقت بها الأنهار، والتفت بها الأشجار، وغابت في البساتين، ونبعت حولها العين، وجل بها الإقليم وانتعش فيه الغريب، واستطابها اللبيب...هو بلد كبير كثير الخير رحب، رقيق طيب، رشيق الأسواق ، غزير الماء، جيد الأهل، قديم الوضع محكم الرصف، عجيب الوصف"[20]، **والجانب التداولي** في تمفصُلِ **تيهرت** في رواية "العشق المقدنس" يظهر في أنه ماضي الجزائر، فهي انتماء حضاري وثقافي عريق للكاتب وللجزائريين، ومن أهم ما يميّزها أنها مكان في زمن انقسمت فيه الأمة العربية والإسلامية إلى دويلات، في مجتمع تتوغل فيه الفتنة العمياء وتعمل عملها، كما ولو أنه حال أمتنا اليوم: أمة تتشتّت وكل العالم يتكتل، ومع كل هذا فهي تعتبر فضاء شاسعا، ومدينة مليئة بالمناظر الخلاّبة المنبعثة من جمال طبيعتها وتضاريسها من جبال وديان وحدائق وبساتين، كما هو حاضر

بلدنا اليوم يزخر بالخيرات والإمكانيّات والثّروات، وكان الهدف من ذلك كلّه استحضار التّاريخ، وللمفارقات المتداخلة في تجربة حكم هذه المدينة، ومدى الانعكاس السّلبي للتّناحر الطّائفي والصّراع الدّيني والفتنة المهيمنة.

يجد القارئ نفسه أحيانا كما ولو أنّه في عصرنا الحالي، حين يتلاعب الرّوائي بالأزمنة والأمكنة من خلال ممارسته للعبة سرديّة كسرت الحدود بين الماضي والحاضر حيث ينتقل بين **الجزائر** التي تمثّل **الحاضر** وبين **تيهرت** التي تمثّل **الماضي**، وبين زمن الدولة الرستمية وزمننا هذا (المعاصر)، وليس هذا اعتباطيا فما أشبه اليوم بالأمس، فالرّوائي تخطّى بذلك حدود المكان والزمان، قفزا بين الهنا والهناك، وتلاشى منطق الوقت حين التحليق والقفز عبر الأزمنة والأمكنة مثل الملفوظ السّردي الآتي: "سلكنا طريقا هامشيا ضيقا مؤديا إلى **العاصمة**، كثرت أمامنا المطبات، وكانت السيارة تهتز وهي تمخر أرضية الطريق"[21]، فالعاصمة هي الجزائر: عاصمة الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشعبيّة في القرن الواحد والعشرين، و**الجانب التداولي** في كونها من الأمكنة الهامّة بالرواية أنّها تمثل **الواقع**، الواقع الذي يعيشه الكاتب وواقعنا جميعا بكل تجلياته، والعودة لهذه الفترة التاريخية (عهد الدولة الرستمية) تحديدا لم يكن اعتباطيا بل مقصودا، لأنها فترة صراعات طائفية ومذهبية حادة تعد معادلا موضوعيا لما يحدث في الجزائر اليوم من صراع طائفي بين المالكين والإباضيين في غرداية، وما حدث من قبل في سنوات الفتنة والإرهاب من قتل باسم الدّين.

يقف القارئ للرواية عند إشاريات مكانية عديدة باعتبارها "لواحق تشير إلى مكان ينبغي أن تشمله دلالة المتكلم ويدركه السامع لتنجح العمليّة التّواصلية"[22] مثل ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم مثل: فوق، وتحت، هنا، هناك، أمام، وخلف.....، كما يقف أيضا عند إشاريات زمانية متنوعة باعتبارها "كلمات تدل على زمان يحدّده السّياق بالقياس إلى زمن التلفظ"[23]، مثل ألفاظ (المساء، الليل، الفجر، الصّباح، العصر، الأيّام، السّاعة، لحظة، الآن ....)، ولهذه الإشاريّات غالبا زمن مبهم لا يمكن للقارئ أن يدرك دلالته إلا بمعرفة السياق الذي وردت فيه ولما يقصده الكاتب، كما يتجسّد في الملفوظ السّردي الآتي:" فتحت عيني في ساعة من **الليل** ، كنت قد أترعت كؤوسي من نوم عميق، كان الظلام يحاصر الكون من كل الجهات ، وكان ضوء القمر كحلم بهي يتغشى كل شيء"[24]، فمرجع الأداة الاشارية الزمانية (**الليل**) هو لحظة التلفظ بها، مع أنه يصعب تحديد هذه اللحظة تحديدا دقيقا، أهي في بداية الليل أم في وسطه أم في ثلثه الأخير، فليل العاشق مظلم طويل لأنه يعيش مغامرة خطيرة لا يعرف لها نهاية، فهو في بحثه الدائم عن الطائر العجيب الذي يمثل له السعادة، ولكن الظروف دائما تحيط به، وتمسّه رياح الفتنة ما يجعل حياته مهددة دائما، والليل بسكونه وسباته تزيد فيه أفكار العاشق وتتسع آفاقها، كما أنه يعبر فيه عن همومه وآلامه وأحزانه وهو في هذه المتاهة الخطيرة، وغالبا ما يكون للقمر وجود في ليل العاشق وهو ما يزيل من ظلمة الليل القدر اليسير، ويكون مؤنسا للعاشق في ليله الطويل، كما أن القمر يبعث الأمل في نفسية العاشق وكذا الكاتب، فالعاشق يأمل في أرضية خصبة ليعيش عليها عشقه، والروائي "عز الدين جلاوجي" يأمل في مستقبل أفضل، في وطن يسوده السلام بعيدا عن الفتنة والحرب، وفي أمة عربية إسلامية موحدة، ولابد لهذا الليل مهما كان طوله وشدة ظلمته أن ينجل: "مع **الصباح** الباكر، حضرت قهوة، رحت أرشفها على مهل، وأنا أتطلع من بين أضلع النافذة القديمة"[25]، فبعد انجلاء الليل المظلم ينتظر الكاتب قدوم إشراقة الصباح بتباشير الفلاح.

5. الإشاريّات الخطابية والاجتماعية :

هناك إشاريات للخطاب تعد من خواصه الأساسية، وتتمثل في العبارات التي تذكر في النص مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم فقد يتحير في ترجيح رأي على رأي فيقول: "ومهما يكن من أمر، وقد يحتاج أن يستدرك على كلام سابق أو يضرب عنه فيستخدم لكن أو بل، أو قد يعن له أن يضيف إلى ما قال شيئا أخر فيقول: فضلاً عن ذلك، وقد يعمد إلى تضعيف رأي فيذكره بصيغة التمريض قيل...، وقد يريد أن يرتب أمر على آخر فيقول من ثَمّ..."[26]، وهذه الإشاريّات قد تلتبس بالإحالة إلى سابق أو لاحق، وقد تستعار إشاريات الزمان والمكان لتستخدم إشاريات للخطاب، فكما يقال: الأسبوع الماضي يمكن أن يقال: الفصل الماضي من الكتاب أو الرأي السابق، أو يقال: هذا النّص وتلك القصّة.

كما أن هناك ألفاظا وتراكيبا تشير إلى نوع العلاقة الاجتماعيّة بين المتكلمين والمخاطبين، من حيث هي علاقة رسميّة أو علاقة غير رسميّة، أي علاقة صداقة أو ألفة، والعلاقة الرسميّة يدخل فيها صيغ التّبجيل في مخاطبة من هم أكبر سناً ومقاماً من المتكلم، أو مراعاة للمسافة الاجتماعيّة بينهما فتشمل: الألقاب، فخامة الرئيس، جلالة الملك، سمو الأمير، والسيد والسيدة...، أما العلاقة غير الرسميّة فتشمل النداء بالاسم المجرد[27]، وهي ما تُعرف بالإشاريّات الاجتماعية.

تشمل الإشاريّات الاجتماعية في اللغة العربيّة صيغ من قبيل: معالي الوزير، فضيلة الشّيخ، الآنسة، الهانم، الباشا، حضرتك، سيادتك، معاليك، جنابك .... فهذا النوع من الإشاريّات يعنى بمسألة تحديد نوع العلاقة الاجتماعيّة بين أطراف الخطاب، وهي مسألة نسبيّة تختلف من موقف لآخر، ومن حيث قرب أو بعد الأطراف، سواء كان القرب أو البعد ماديّاً أو اجتماعيّاً أو نفسيّاً.

بالعودة إلى رواية "العشق المقدنس" نلفي ما يشير إلى الإشاريّات الخطابيّة، ففي استعمال الروائي (لكن) الاستدراكيّة في الملفوظ السّردي الآتي: "كنت هامدا، **لكن** عقلي أبى أن يستقر"[28]، حيث إنّ العاشق في هذا المقام يستدرك قوله الذي يشير فيه إلى أنه كان هامدا، فالاستدراك وقع على عقله الذي لم يكن كذلك، بل وأبى أن يستقرّ نظرا للظروف الصعبة التي يعيشها العاشق وحبيبته، وأنّى للعقل أن يعرف الاستقرار في مثل تلك الظّروف، وهذا ما يوحي إلى معاناة العاشقين، وتحملهما للمشاق والصّعاب في سبيل حبّهما وبحثا عن السعادة الأبديّة، وعشق كهذا لا يكون إلا مقدّسا في وسط زمان ومكان مدّنسين بالفتن والحروب، ومثل ذلك في الملفوظ السّردي الآتي: "ورحت أقص عليها ونحن نتابع تدفق ماء النافورة إلى الأعلى، حكاية السندباد حين تعلق برجل طائر الرّخ و نزل به إلى وادي الموت، سألت هبة بخوف: وهل بقي هناك؟

– حتما لو كانت معه هبة سيبقى، **لكنه** كان بمفرده"[29]، فلكن استدرك من خلالها العاشق بقاء السّندباد في وادي الموت، ذلك لأن هبة لم تكن معه، فلو كانت معه لاستطاع أن يعيش في أي مكان، ولهذا الاستدراك أبعاد ومقاصد أهمها أن يبرهن العاشق عن مدى حبّه وتعلقّه الشّديد بهبة، ونفس الإشارة الخطابية (لكن) أفادت الضرب عن كلام سابق في الملفوظ السردي الآتي: "غير أن الرجل أسرع يعطي الأمر بإصلاح عجلة سيارتنا، واستضافتنا إلى الغد، قاطعته هبة وفي نبرتها حزم: نريد أن نواصل الطريق الآن؟

ولكزتها كي تسكت، **لكنها** استمرت غير مبالية بي: نريد أن نصل الليلة إلى بيتنا، لا بد أن نفر من كل هذا الهم"[30]، فلكن هنا ليس الغرض منها الاستدراك، إنما توضيح أن هبة قد أضربت عن طلب العاشق منها السكوت، فواصلت بإصرار طلبها في الرّحيل والذهاب إلى البيت طلبا للرّاحة، وهو ما يبين أن هبة لم تستطع التحمّل، والنّساء غالبا لا يتحمّلن كثيرا كالرّجال.

وفي استخدام الروائي لإشارة خطابية أخرى هي **(بل)** في قوله: ''فلم يعد الصراع بين الطائفتين السّلفيّتين فحسب، **بل** ظهرت طوائف مختلفة ونحل متعددة أشهرها على الإطلاق فرق الخوارج"[31]، فقد جاءت **(بل)** مستدركة للكلام السابق لها، على أن الصراع تعدّى الطّائفتين السّلفيّتين إلى طوائف أخرى كثيرة، ومثل ذلك: "هي فرقة لا تؤمن إلا بالقرآن رافضة ما يضاف إليه من سنة، ومن أعمال السلف، **بل** وظهرت أيضا جماعات شيعية أغلبها على مذهب الإمامية، وجماعات على مذهب المعتزلة، **بل** وعلمانيون أيضا"[32].

بالإضافة إلى الإشاريّات الخطابية فإننا نجد أن رواية "العشق المقدنس" غنية بالإشاريّات الاجتماعية، خاصة بالألقاب التي كانت سائدة في الدولة الرّستمية مثل: **الأمير، الإمام، الخليفة، مولاي، سيدي**... ، فغالبا ما كان يقترن اسم عبد الرحمن بن رستم حاكم الدولة الرستمية في الرواية بلفظة **الإمام** كما توضّحه الشواهد الآتية: "أيها **الإمام** لقد عاد قائد جيشكم المظفر "[33]، "وصلنا إلى حدودهم أيها **الإمام**، وأرسلنا عيوننا"[34]، "الناس تلوك نبأ وفاة **الإمام** عبد الرحمن بن رستم "[35]، فلفظة **الإمام** من الإشاريّات الاجتماعية التي تبيّن رفعة مكانة صاحبها، كما أنها توحي كذلك إلى السّلطان وتبيّن أن من يتّصف بها يحكم بالشّريعة الإسلاميّة.

بالإضافة إلى جملة من الألقاب مثل: "قال **الأمير** منبّها..."[36]، "أنت أيّها المارق المبتدع في دولة **مولانا**"[37]، "إنها هديّة الله إليك يا **أمير المؤمنين**"[38]، "يا **كبير الوزراء** ضعوهما في الحجز"[39]، "مسد **الخليفة** لحيته الطّويلة الحمراء من أثر الحنّاء"[40]، وكلّ هذه الألقاب ومثلها كثير في المدوّنة، ذلك أنّها تُسهم في بيان نوع العلاقة الاجتماعيّة بين المتكلمين والمخاطبين، وهي تبين أن العلاقة بينهم رسميّة لأنها صيغ تبجيل تستعمل في مخاطبة من هم أكبر سناً ومقاماً.

ومما يوضّح ذلك: "وجدت الفرصة سانحة، فقمت في المجلس، أخرجت الرسالة من ثنايا ثيابي وقلت: أحمل **إليكم سيّدي الأمير** رسالة من أعدائك المتربصين **بكم**"[41]، ففي هذا الملفوظ السردي تتجلى إشارة اجتماعيّة في **(سيدي الأمير)** فقد استعمل العاشق صيغتين من صيغ التّبجيل في مخاطبة الإمام **(سيدي)** و**(الأمير)** ذلك لأنه أكبر مقاماً من المتكلم أي العاشق، فلقد راعى العاشق المسافة الاجتماعية والعلاقة الرسمية المحضة بينهما(العلاقة بين الحاكم والرعية)، خاصة وأنه يخاطبه بصيغة الجمع **(إليكم، بكم)**، على عكس ما إذا كانت العلاقة بينهما غير رسميّة، فحينها يناديه باسمه المجرّد، والأمر نفسه في: "نظر فينا مبتسما وحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه وأصحابه وقال:

– **أهنّئكم** على **نجاحكم** من الفئة الباغية التي **اختطفتكم**، و**أطمئنكم** إلى أن حكم الله سيمضي فيهم بالعدل"[42]، فهو كمتكلِّم يعتبرهما رسولين، ولهذا كان هذا التعبير الرسمي معهما حين خاطبهما بصيغة الجمع **(أهنئكم، نجاحكم، اختطفتكم أطمئنكم)**، والأمثلة عن مثل هذه التراكيب كثيرة في الخطاب الروائي للمدونة، وهي تحظى باهتمام كبير من التداوليّين لأنها تسهم في تحقيق إقامة التّواصل في الخطاب وتعزّز الثّقة بين المتخاطبين من أجل إنجاح التّخاطب أو الحوار.

6.خاتمة:

الإشاريّات عامل هام في تكوين بنية الخطاب الروائي وتشكّله، وإذا أردنا أن نفهم مدلولها، استوجب منا ذلك –على الأقل– معرفة هوية المتكلم والمتلقي والإطار الزماني والمكاني للحدث اللغوي، وبعد بيان كيفية تحقّق أنواع الإشاريّات وأبعادها التداولية في رواية "العشق المقدنس" –وإن لم يسعنا المقام للإلمام بجميعها– نجد أن عز الدين جلاوجي قد وظّف في خطابه الروائي هذا عددًا لا بأس به من الإشاريّات بمختلف أنواعها، ما جعله متّسق المباني، منسجم المعاني في بنيته السطحية ودلالاته البادية، وكذا في معانيه وأبعاده الضمنية.

كما أبانت دراسة الإشاريّات في الرواية أنها أسهمت في إقامة التّواصل وإنجاح التّخاطب أو الحوار بين شخصيات الرواية، وأبانت بجلاء تلك اللعبة السردية التي مارسها الروائي حين كسر الحدود بين الماضي والحاضر، ما يبرز قيمة الإشاريّات في منح طاقات تعبيرية وخصائص فنية تؤثّر في المتلقي وتدخِلُه في علاقة تواصل جمالي وتفاعل خيالي مع الخطاب الروائي.

وفي هذا المقام تنوّهُ هذه الدراسة بأهمية استثمار الآليات الإشارية في مقاربة الخطاب الروائي، بوصفها أداة إجرائية ناجعة تفضي إلى الإلمام بسياقه العام، ما يعين المتلقي في فهم كُنْهِ النّص وربطه بمرجعياته من جهة، ويعين الناقد على فكّ شفرات النسيج اللغوي للخطاب الروائي حتى يتسنّى له الوقوف على ظلاله الانفعاليّة وكذا أبعاده المعرفيّة والفنيّة والجماليّة من جهة أخرى.

7.قائمة المصادر والمراجع:

أ/الكتب:

- **العربيّة:**

1. أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، ط1، مصر، 2002.
2. عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب–مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت(لبنان)، 2004.
3. عز الدين جلاوجي: رواية العشق المقدنس، دار المنتهى للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2016.
4. يوسف بن محمد السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت (لبنان)، 2000.

- **المترجمة:**

5. جورج يول: التداولية، تر، قصي العتابي، دار الأمان، ط1، الرباط (المغرب)، 2010.
6. دومينيك منقيونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2008.
7. فرانسوا أرمينيكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، منشورات مركز الإنماء القومي، دط، الرباط (المغرب)، .1987

ب/المجلات:

8. أمال مشري، دليلة مزور، البعد التداولي للإشاريات الشخصية في مقامات الحريري – الضمائر أنموذجا، مجلة إشكالات، جامعة تامنغست، مجلد 09، العدد 4، 2020.

ج/الرسائل الجامعية:

9. عمار لعويجي، تداولية الخطاب الشعري ديوان أبي الفراس الحمداني أنموذجا، السنة الجامعية 2011–2012، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر.

8.الهوامش:

1 – دومينيك منقيونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 1428–2008، ص98.

2 – فرانسوا أرمينيكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، منشورات مركز الإنماء القومي، دط، الرباط (المغرب)، 1987، ص11.

3 – أمال مشري، دليلة مزور، البعد التداولي للإشاريات الشخصية في مقامات الحريري – الضمائر أنموذجا، مجلة إشكالات، جامعة تامنغست، مجلد 09، العدد 4، 2020، ص120.

4 – ينظر جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، دار الأمان، ط1، الرباط (المغرب)، 2010، ص27.

5 – فرانسوا أرمينيكو، المقاربة التداولية، مرجع سابق، ص11.

6 – أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، ط1، مصر، 2002، ص16.

7 – عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب–مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت (لبنان)، 2004، ص97.

8 – أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص18.

9 – عز الدين جلاوجي، رواية العشق المقدنس، دار المنتهى للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2016، ص31.

10– الرّواية، ص44.

11– الرّواية، ص22.

12 – الرّواية، ص 68–69.

13 – فرانسوا أرمينيكو، المقاربة التداولية، مرجع سابق، ص42.

14 – عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص83.

15– المرجع نفسه، ص21.

16 – عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص84.

17– أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص22.

18– الرّواية، ص19.

19– الرّواية، ص79.

20– الرّواية، ص38.

21 – الرّواية، ص99.

22 – عمار لعويجي، تداولية الخطاب الشعري –ديوان أبي الفراس الحمداني أنموذجا، السنة الجامعية 2011–2012، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، ص99.

23– المرجع نفسه، ص 105.

24 – الرّواية، ص28.

25 –الرّواية، ص107.

26 – أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص24–25.

27 – المرجع نفسه، ص25.

28 – الرّواية، ص102.

29 – الرّواية، ص120.

30 – الرّواية، ص102.

31– الرّواية، ص117.

32 – الرّواية، ص118.

33 – الرّواية، ص13.

34 – الرّواية، ص13.

35 – الرّواية، ص56.

36 – الرّواية، ص36.

37 - الرّواية، ص33.
38 - الرّواية ص37.
39 - الرّواية، ص39.
40 - الرّواية، ص37.
41- الرّواية، ص69.
42 - الرّواية، ص 68.